إتيقا النقاش حلاً لتجاوز أزمة الفكر الحديث

أ(ة).بورزاق يمينة
إشراف: د(ة). بن دنيا سعدية
جامعة مستغانم– الجزائر

ملخص:

خطى إنسان الحداثة خطوة كبيرة لفك أغلال الكنيسة التي فرضت عليه طوال الفترة الوسيطية، عانى خلالها الكبح الفكري وتسلط رجال الدين، فمع بوادر الفترة الحديثة تراءت آمال لحرية الفكر الذي تجسدت معالمها مع رونيه ديكارت، حيث أصبح الإنسان أكثر حرية واندفاعا في البحث عن العلل والأسباب التي يقوم عليها الوجود في قناعة منه في أن لكل شيء سبب معقول، إلا أن هذا التجديد الفكري لم يكن حلا نهائيا للشرخ الوسيطي نظرا لأنه أفرز هو الآخر فجوة جعلت منه مشروعا لم يكتمل بعد، وشكّل أزمة في المنظومة الفكرية والمجتمعية الغربية، وعلى هذا الأساس سنتطرق في هذه الدراسة إلى نموذج إتيقي جاء كحل لتجاوز مكمن القصور في المشروع الحداثوي الذي تمخضت عنه مقولات الذاتية، العلموية والعدمية، حاول فيه صاحبه **كارل أوتو آبل** انتشال الإنسان ما بعد الحداثي من غمار التأزم بناء على قيم العدالة والتضامن والمسؤولية المشتركة تأسيسالإتيقا كونية أساسها النقاش.

الكلمات المفتاحية: الحداثة، الإتيقا، النقاش، البينذاتية، الحوار، المسؤولية المشتركة.

Abstract:

Important efforts had been done by the modern men to get rid of the church’s dominance, which had been imposed throughout the Middle ages, during which he suffered from the control of clergymen. With the renaissance, big hopes for freedom of thought were born, they were manifested with Ronnie Descartes. So, People became freer and more eager to search for the reasons of the existence , and were convinced that everything has a reasonable cause, but that intellectual renewal produced a gap that made it an incomplete project, and formed a crisis in the intellectual and the communal system of the western world. On this basis we will study an ethic model in which the author Carl Otto Apel attempted to extricate the postmodern Man from a crisis on the bases of the values of justice, solidarity and shared responsibility to found a universal consensus based on discussion.

Keywords: Modernity; ethics; discussion; intersubjectivity; dialogue; shared responsibility

مقدمة:

إن الكلام عن الحداثة إنما هو الإشارة إلى التغيير الفكري الذي اقترنت به هذه المرحلة من الزمن، ما جعلها فترة تختلف عن سابقاتها، كونها سعت للخروج من بوتقة الفكر اللاهوتي والسيطرة الكنسية خلال الفترة الوسيطية مستندة إلى الانفتاح وحرية الفكر في القرن الـ16 م، لهذا وصفها **هيجل** بالأزمنة الحديثة كونها اتسمت بما هو مختلف عمّا كان متداولا فكريا أين جُعل العقل الميكانيزم الأوحد في الوصول إلى الحقيقة، وهذا ما أحدث فوارق أهمها الثورة الصناعية والكشوفات الجغرافية الجديدة والاكتشافات العلمية المختلفة، إذ كان ظهور هذا النمط هو محاولة لتجاوز الوضعية الأزمة التي قيّدت الإنسان الحر بسلاسل الكنيسة وكبلته لفترة طويلة، فهذا التجاوز الهادف إلى الوصول إلى بر الأمان بطرق أكثر حرية كرّس هو الآخر عوامل أو مبادئ كانت السبب في الوقوع في أزمة جديدة هي أزمة الفكر الحداثوي، والتي جعلت منه مشروعا لم يكتمل بعد حسب ما أعلنه **يورجين هابرماس**، فالأزمة هذه تولّدت من رحم هذا المشروع، أي أنها ليست عرضية وإنما تمثلت في المقولات الأساسية التي نشأت عليها الحداثة، ومن خلال ما تقدم يمكن أن نطرح الإشكال التالي: كيف تعامل الفكر ما بعد الحداثوي مع هذه الأزمة؟ وما هو الحل الذي قدمه **كارل أوتو آبل** للخروج من الوضعية الأزمة؟.

1- محاولة تشخيص الأزمة:

في محاولة للكشف عن الأزمة التي وقعت فيها الفلسفة الحديثة كان من المهم أن نقف على أهم المقولات التي نادى بها الفكر الحديث والتي كان العمل بها سببا مباشرا في ذلك، وهذه المقولات تتمثل في:

أ- **الذاتية، أو مبدأ الذات:** وهذا المبدأ يعد أولى المحطات التي انطلق منها الإنسان في مرحلة الحداثة لرد الاعتبار للذات الإنسانية التي عانت التهميش، والذاتية أهم مفهوم شكّل القاعدة الفلسفية للحداثة لأنها " تعيد جميع المعايير والحقائق إلى الذات الإنسانية، وجعلها الكفيلة بصناعتها، سعيا منها إلى إتمام القطيعة المبتغاة مع التراث"[1]، وقد تأسست هذه الذاتية مع **رونيه ديكارت** الذي دشن هذه اللحظة عن طريق إرجاع جميع المدركات "إلى الذات (le sujet) عن طريق الكوجيتو (...) أنا أفكر إذن أنا موجود cogito ergo sum ، فالوعي بالأشياء والموجودات الخارجية (...) ترد إلى الذات العاقلة كونها الأساس الثابت لكل يقين"[2]، وهذا ما نتج عنه ثنائية الذات (الإنسان) والموضوع (الطبيعة)، وقد كان مبدأ الذات نتيجة لأحداث عرفتها الساحة الأوروبية كما بيّن ذلك **هابرماس**، تمثلت في "الإصلاح الديني الذي طال المؤسسة الدينية في الغرب (...) ليعم فكر

---

[1] علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس أنموذجا، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، ص103.

[2] كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى آكسل هونيث، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، دار الأمان، الرباط، ص26.

الإنسان وعمله وفعله وحقه وملكه وثقته بنفسه"[1]، وخلافا للتشريعات السابقة أكّدت البروتستانتية سيادة الذات وقدرتها على التمييز، معتبرة أن الحق والأخلاق نابعين من الإرادة الإنسانية بعد أن وصفا قبلا أنهما من أوامر الله، والحدث الثاني هو فترة الأنوار التي تعد مرجعا للفكر والحضارة الغربيتين، والتي " استطاعت أن تنجز القطيعة المعرفية مع كل ما هو فوق العقل أو ما فوق الطبيعة، بل وكل التفسيرات الخرافية لعلاقة الذات بالموضوع الخارجي"[2]، فكان هذا بمثابة حافز للذات الإنسانية للمضي قدما، ولإطلاق عنان التفكير والتغيير، في حين تعتبر الثورة الفرنسية بمثابة "الانعطافة السياسية أو **البراكسيس** الذي أنجز المفهوم بظهور حقوق الإنسان والدعوة لها بالنسبة لشعوب أوروبا حينها من أجل القضاء على كل هيمنة كانت تفرضها السلطات الدينية والملكيات المطلقة"[3].

فهذه الأحداث بلورت الذاتية التي موضعت الإنسان ومكّنته من أن "يرى صورته في مرآة مجلوة، فيتمثل من خلالها العالم بعدما كان ضباب القرون الوسطى اللاهوتي يحجب عنه الرؤية الواضحة، لقد أضحى إنسان العصور الحديثة يدرك نفسه كذات مستقلة ذات علامة على صاحبها وبيان لحاملها، إنّية لا تكتفي بأن تعلن عمّا يميزها عن الطبيعة، بل تروِّض هذا العالم وتغزوه لكي

---

[1] علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس أنموذجا، ص104.

[2] المرجع نفسه، ص104.

[3] المرجع نفسه، ص104.

تجعله بمختلف كائناته ومستويات إدراكه، مقاسا بالمقياس الإنساني"[1]، هذا العالم الذي أصبح هو الهدف الأسمى للإنسان.

ومن هنا يمكن أن نقول أن " الحداثة هي أولية الذات، انتصار للذات، ورؤية ذاتية للعالم"[2]، وبالتالي شغلت الذات النقاشات المركزية في الفكر الحديث الذي أصبحت " فيه الحياة الدينية والدولة والمجتمع وكذا العلم والأخلاق والفن تبدوا جميعا كتجسيد لمبدأ الذاتية، هذا المبدأ الذي يظهر كذاتية مجردة في الكوجيتو **الديكارتي** أو الوعي الذاتي المطلق لدى **كانط**"[3]، ونلاحظ من خلال هذا أن الأنا أو الذاتية استبعدت الآخر الذي يتشارك هذا الوجود معها فكانت هذه أولى الأزمات التي سلّط عليها الضوء فلاسفة التواصل على رأسهم **هابرماس** و**كارل أوتو آبل**. ولأن الطبيعة البشرية تنزع نحو البحث في العلل والأسباب باعتماد العقل ظهرت المقولة الثانية للحداثة.

ب- العقلانية: إذا كان ديكارت قد أسس للذاتية في الفكر الحديث، واضعا بذلك نقطة فصل بين عالم الآلهة القديم ووجود الإنسان في هذه الفترة، فإن العقلانية

---

[1] محمد الشيخ، ياسر الطائري، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة حوارات منتقات من الفكر الألماني المعاصر، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1996، ص12.

[2] المرجع نفسه، ص 12.

[3] علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس أنموذجا، ص105.

ظهرت على يد **لايبنتز** الذي صرّح بأن "لكل شيء سبب معقول"[1]، فاتحا المجال أمام الإنسان للبحث والكشف عن أسرار الكون، ومحاولة معرفة العلل الأولى للوجود، وكانت دعوة **لايبنتز** لهذا هي محاولة " التصالح بين الداخل (الذات) والخارج (الطبيعة)، والإئتلاف بينهما من غير اختلاف"[2]، بمعنى تحول الإنسان في علاقته مع الطبيعة من متأمل، ومتعجب من ظواهرها، إلى منقب وباحث في كل ما تحويه في محاولة منه للإجابة عن كل إشكالاته، ذلك أن سعي الإنسان إلى فرض سيادته على الطبيعة لن يتم دون التوصل إلى معرفة قوانينها لأن "الذات الواعية التي تمتلك الثقة الكاملة في قدراتها على المعرفة وفي مواجه العالم الموضوعي (الخارجي)، وهو العالم الذي يخضع وفق هذا المنظور للحساب والغزو والسيطرة لأن المعرفة لا تكون غاية في ذاتها وإنما ترتبط بمنافع ومصالح البشر"[3]، وهذا ما أنتج فرط العلم أو العِلموية التي تبرز مدى قناعة الإنسان بالعلم التجريبي وجعله المنبع الوحيد للحقيقة بعد أن كان شكلا من أشكال المعرفة، وهنا وقع الإنسان في أزمة التقنية التي غدا فيها خادما لا سيدا كما كان يدّعي، منتقلا من كفة الإنسان المفكر إلى كفة الإنسان الصانع، فتأرجح بين كفتي الذاتية والعقلانية، محاولا التخلص من كل ما يربطه بالماضي وسيطرة اللاهوت غير أن

---

[1] محمد الشيخ، ياسر الطائري، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة حوارات منتقات من الفكر الألماني المعاصر ،ص13.

[2] علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس أنموذجا، ص109.

[3] كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى آكسل هونيث، ص 27.

هذا الأمر أوقعه في مأزق آخر هو تفريغ المرجع الديني من محتواه وهو ما سمي بالعدمية.

ج-العدمية: ظهر هذا المصطلح في فلسفة **فريديريك نيتشه** الذي أراد " إخضاع العقل المتمركز على الذات للنقد والمراجعة في محاولة لإنقاذ مشروع هيجل والتنوير(...)"[1]، وقد قصد بالعدمية " لا قيمة للقيم، أي أن ما كان في العصور السالفة مبادئ راسخة وثابتة ومثل عليا سامية، صار مع مجيء الحداثة عدما أفقد القيم من كل معنى حقيقي"[2]، وهذا يرجع إلى الإصلاح الديني الذي أعلى سلطة الذات وجعلها منبعا لجميع المبادئ والمعايير مما أفقد لإنسان سكينته، وقد لاحظ **نيتشه** أن الفلسفة الحديثة على الرغم من مجموع التغيرات التي طرأت عليها إلا أنها استمرت في "البحث عن قيم جديدة تعوض بها القيم المنهارة، نتيجة أفول عالم الآلهة وإحساس الإنسان الحديث بالتقلب والتبدل الدائمين وفقدانه لمرجع ثابت يستند إليه"[3]، وهذا المرجع هو الدين حيث أصبحت الذات هي المشرّع.

2- في محاولة تجاوز الأزمة:

للخروج من الأزمة المشخصة والتي تضرب بجذورها في الفلسفة الديكارتية، اقترح **كارل أوتو آبل** قراءة تحويلية للفلسفة، وذلك بالانتقال من براديغم الوعي إلى

---

[1] جميلة حنيفي، يورغن هابرماس من الحداثة إلى العقلانية التواصلية، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر، ط1، 2016، ص44.

[2] محمد الشيخ، ياسر الطائري، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة حوارات منتقات من الفكر الألماني المعاصر، ص14.

[3] المرجع نفسه، ص14.

براديغم اللغة، وكان هذا في كتابه العمدة التحول الفلسفي أو تحويلية الفلسفة le transformation de la philosophie، والذي كان "محاولة للوصول إلى إجماع داخل مجتمع الباحثيين العلميين والذي طوّر من قبل **بيرس**، ويعد فكرة أولية عن الكيفية التي ينبغي أن يفكر بها في تحويل فلسفة مفكرين عظماء من منظور مازال في حد ذاته فلسفيا"[1]، وقد انتقد **آبل** المزاعم التي ترى أن للذات القدرة الكافية، والفاعلية في التواصل، والتفاعل مع العالم بشكل أحادي وإنفرادي، فهو لا يرى "الأنا بمعزل عن جماعة التواصل الترنسندنتالية(...)، ولتحقيق ذلك لجأ إلى وساطة اللغة"[2]، أي أنه توجه نحو إيجاد حل هو:

* **التذاوت أو البينذاتية intersubjectivité:** للقضاء على مركزية الذات، والذي يتجلى في تفاعل الأفراد، وما زاد تأكيده على هذا الرأي هو تأثره بالمنعطف اللغوي للمدرسة التحليلية خاصة مع **أوستين** و**سيرل** من جهة، والبراغماتية مع **بيرس** من جهة أخرى، وعليه حاول الربط أو الجمع بن الفلسفة الأنجلو أمريكية لهذا يعد رائدا من رواد الفلسفة القارية، وكذالك يعتبر **آبل** من خلال فلسفته هذه رفقه زميله **هابرماس** "وريثين مباشرين للتغيير التداولي الألسني التأويلي الذي

1) Karl Otto appel, transformation de la philosophie 01, traduction: Christianbouchindhomme, Thierry simonelli, Denis trierweiler, edcref, paris, 2007, p12.

2) جميلة حنيفي، يورغن هابرماس من الحداثة إلى المعقولية التواصلية، ص244.

حدث في المرحلة المعاصرة"[1]، من خلال أفكارهما حول أخلاق التواصل **(هابرماس)**، أو إتيقا النقاش**(آبل)**، إلا أن مشروعيهما لا يمثلا المحاولة الأولى، فقد حاول قبلهما هيجل منذ كتاباته الأولى إيجاد عقل تواصلي من خلال افتراض "علاقة متوازنة بين الذوات فيها يدعوا إلى السلطة الموحدة البينذاتية تتجلى من خلال مفاهيم الحب والحياة، وعوّض العلاقة التأملية بين الذات والموضوع، ووضع علاقة تواصلية بين الذوات"[2]، معتمدا في نسج هذه العلاقة على المفهوم الأساسي المتمثل في "المطلق" حيث يقول " من تجربة التفاعل أتعلم رؤية نفسي في أعين شخص آخر، فالوعي الذي لدي عن نفسي ذاتها هو نتاج مشتق عن تقاطع الآفاق، وعلى أساس الاعتراف المتبادل فقط يتشكل الوعي بالذات الذي هو ضرورة مرتبط بالانعكاس الذي يظهر عني في وعي الشخص الآخر"[3]، وهذا خلافا لما تداولته الفلسفة الكانطية التي رأت في الذات وحدة خالصة تحيل دائما إلى ذاتها ومنحتها الدور الأول والأهم في إدراك ذاتها وكل ما يحيط بها من معارف.

المناقشة الحجاجية "la discussion argumentée": كان اهتمام **آبل** منصبا على الخطاب وطبيعته التداولية داخل الحلقة التواصلية بدلا من تحليله،

---

[1] كارل أوتو آبل، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، تر: عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز العربي الثقافي، المغرب، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2005، ص17.(مقدمة المترجم)

[2] جميلة حنيفي، يورغن هابرماس من الحداثة إلى المعقولية التواصلية، ص37.

[3] المرجع نفسه، ص155.

وينعكس هذا البعد التداولي في أطراف تتبادل الحديث فيما بينها بطريقة سلسة تهدف إلى بلوغ الإجماع الذي لن يتحقق بدون المرور بما أسماه المناقشة الحجاجية التي تعد مقوما جوهريا للتواصل، " فالمناقشة الحجاجية بحسب **آبل** ليست لعبة قوامها اللغة jeu de language (...) بل إنها عماد النشاط التواصلي، بما هو ماهية أساسية ذاتية وبينذواتية في الوقت ذاته"[1]، ففي هذه المناقشة يظهر أن "المتكلم خاضع في عملية الكلام إلى صيغ وتراكيب مجتمعه، حيث اللغة مؤسسة (...) لا تقوم إلا بالاستعمال والتواضع الاجتماعي الذي يتأسس في محيط شكل الحياة"[2]، وهذا معناه أن الوسط التفاعلي الاجتماعي هو المنشأ الأول لكل بنية لغوية وفقا "لقاعدة التفاهم التي تقتضي ضرورة أن كل فعل للغة يؤسس لعلاقات بينذاتية يستطيع من خلال كل فرد الانخراط في عملية التفاعل، باعتباره عضوا في الجماعة التي ينتسب إليها"[3]، والبيئة التي يعيش داخلها، فكل مجتمع يتميز بصيغ وتراكيب لغوية يمكن فقط لأفراده الأخذ بها.

تحتل المناقشة الحجاجية مركزا مهما في التداولية التي عمل **آبل** على تأسيسها، "فهي الصورة الجديدة لأية بنية عقلية منطقية يمكنها الركون إلى المحاجة والبرهان لبلوغ صيغة تواصلية مثلى بين أفراد مجتمع معيّن، ومن ثمّة

---

[1] كارل أوتو آبل، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، ص19.

[2] محمد الشيخ، ياسر الطائري، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر، ص 204.

[3] الناصر عبد اللاوي، التواصل والحوار أخلاقيات النقاش في الفكر الفلسفي المعاصر، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2013، ص107.

إمكانية بعث قواعد ممكنة، متينة لأي تواصل مستقبلي"[1]، ذلك أن الطابع الحجاجي يتميز بالاحتكام إلى العقل، وتبعا للبراهين التي يقدمها كل المشاركون في النقاش رغبة منهم في التوصل للإجماع والاقتناع بفكرة ما، هذه " الفكرة هي مشروع للعمل وليست حقيقة في ذاتها كما تزعم الفلسفة العقلية، وهي خطوة للعمل وإحداث النتائج في هذا العالم"[2]، فالحجاج في نظر **آبل** هو الأداة المثلى لأنه يعكس متطلبات العصر التقني الذي يعرفه العالم، لهذا تسمح المناقشة بمحاولة "الفهم والتفاهم بالمقال والخطاب، بتقديم حجج ومناقشة أخرى وتبيان مدى معقوليتها، وفي هذا المجال نقوم بإنتاج منطوقات أو ملفوظات (des énoncés) معقده تأخذ شكل اقتراحات"[3]، يتم تأكيد صحتها أو نفيها خلال الحلقة النقاشية أو الحوارية بهدف امتلاك الحقيقة، هذه الحقيقة التي تختزل رغم صدقها إلى مستوى الافتراضات وبعد المرور عبر المحاجّة والبرهنة عليها من قبل المشاركين برهنة عقلية يمكن القول عنها أنها حقيقة سواء كان هذا بالصدق أو الخطأ، متأثرا بالإرث الفينومينولوجي الهوسرلي وتحديدا فيما يخص بمسألة تعليق الحكم، فاختزال الحقيقة إلى مجرد افتراض إنما هو إرجاء للحكم، كان **آبل** يهدف من وراءه التوصل بشكل جماعي إلى الحقيقة والاقتناع بذلك، ويمكن أن نشير إلى هذه

---

[1] جان مارك فيري، فلسفة التواصل، تر: عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، بيروت، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2006، ص17.

[2] محمد بكاي، أرخبيلات مابعد الحداثة رهانات الذّات الإنسانية: من سطوة الانغلاق إلى قرار الانعتاق، دار الرافدين، بيروت، opus publishers، كندا، ط1، 2017، ص242.

[3] المرجع نفسه، ص 256.

الافتراضات présuppositions التي أسس **هابرماس** الجزء الأول منها تحت مسمى:

***الإفتراضات الأكسيولوجية أو القيمية:** ويضم هذا المستوى الأفراد المنظّمين في النقاش، وموضوع النقاش، والمعايير التي تحكم هذا النقاش، و"هو يعتمد على ممارسة التأمل تجاه التناقضات الأدائية أو التداولية، وتنتج عن ذلك التأمل الافتراضات القيمية من الصدق المعاكس للكذب، والحقيقة المعاكسة للريبية أو الشكية، والصحة ومعاكستها للخطأ"[1]، وهذا ما يحاول الأفراد مجاوزته من خلال بناء وضعية مثلى للكلام.

***الإفتراضات الأنطولوجية أو الوجودية:** وهو الإفتراض الذي صاغه **آبل** ومضمونه هو وجود عالم تجري داخله الوقائع، ونلمس في هذا الإفتراض أثر فلسفة **هايدجر** الأنطولوجية والذي أرجع قيم التفاهم إلى العالم المعيش والذي كما صرّح "إنه دائما عالمنا"[2]، فافتراض" وجود عالم موضوعي عند ملاحظة ظاهرة ما، أو افتراض وجود عالم ذاتي خاص عند الإفصاح عن شعور معين مثلا"[3]، يقتضي أن يشغل هذا الفرد حيّزا وجوديا حيث تتم أمثلة هذه الظواهر سواء كانت مفترضة أو منطوقة .

---

[1] المرجع نفسه، ص 256.

[2] كارل أوتو آبل، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، ص 32.

[3] جميلة حنيفي، يورغن هابرماس من الحداثة إلى المعقولية التواصلية، ص 214.

لقد ربط **آبل** النقاش بمعايير أو مبادئ تعتبر إتيقية، بهدف تسهيله وجعله مرنا، لتمكين المتحاورين من عرض آرائهم ومحاولة إثباتها، وقد أشار إليها تحت مصطلح مزاعم الصلاحة في اتفاق مع **هابرماس** حولها متمثلة في المعقولية، الحقيقة، المصداقية والصدقية، التي تنطلق من "إنتاج خطاب تتوافر فيه الصحة التركيبية وتحترم فيه المعايير اللسانية، حيث يجب أن يكون الحديث عن وقائع حقيقية بعيدا عن الخيال، حتى يكون هناك تطابق للفعل اللغوي مع معايير معترف بها من طرف المجتمع، وصولا إلى التعبير الصادق عن مكنون الصدور"[1]، وهذا هو الانتقال تتبعا بين هذه المزاعم، التي تحيل بعد العمل بها إلى الإجماع على الفكرة الصحيحة التي تستند إلى الحجة العقلية الأقوى، والاقتناع الذي يحيل مباشرة إلى الحديث عن الإتيقا وعلاقتها بالمشروع التواصلي.

***المبدأ الإتيقي المحايث أو الترنسندنتالي:** تضاعف الحديث عن الإتيقا في الفترة المعاصرة نظرا لحاجة مجتمعات اليوم إلى مرجعية تؤطر الأفعال والمشاركات التفاعلية في الفضاء العام عقب العدمية التي وقع فيها إنسان العصر الحديث، وهذا بعدما عرض **إمانويل كانط** الصورة الكاملة لما هو أخلاقي النابع من العقل (وهو ما يصطلح عليه بنهاية الأخلاق)، مبلورا هذا في قاعدة أخلاقية قائلا " افعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي شخص الآخرين على أنها

[1] محمد بكاي، أرخبيلات مابعد الحداثة رهانات الذّات الإنسانية: من سطوة الانغلاق إلى قرار الانعتاق، مرجع سابق، ص257.(بالتصرف).

غاية وليست مجرد وسيلة"[1]، فتصريح **كانط** كان تأكيدا على أن الذات الإنسانية ليست وسيلة للقيام بأفعال ما بهدف بلوغ غايات، بل هي غاية في ذاتها، مشيرا إلى ضرورة إحداث تطابق بين الذات والغاية مبررا هذا بسيادة الضمير الإنساني، والالتزام بالواجب الأخلاقي، فهذه النهاية لا يمكن أن نقول عنها أفولا أو اندثارا، وإنما هي اكتمال وإشارة لبداية جديدة في المجال الإتيقي، فهدف **كارل أوتو آبل** هو التوصل إلى إتيقا كبرى وكونية والتي " إذا قدّر لها أن تكون، تستوجب تأسيسا عقلانيا يتجاوز كل التقاليد،(...)، هذه الإتيقا لا يمكن أن تستند إلى أخلاق تقليدية مألوفة(...)"[2]، كالتي توجد في المجتمعات ككل، والتي انحصرت في مجالي الإتيقا الصغرى Mikroethik وتخص الأخلاق التي تقوم عليها الأسرة، والإتيقا الوسطى Mesoethik وأثرها في دولة القانون، وفي هذين الصنفين تندرج الإتيقا التقليدية حسب **آبل**.

لقد وضع **آبل** خيطا رابطا بين الآلية التواصلية التي تعكس الحلقة الحوارية في شكلها التخاطبي بين الذوات(المناقشة)، والإتيقا بما هي فلسفة تدعوا للعيش معا، والتي " لا تتأسس على امتلاك الوجود، وإنما تتأسس على تحرير الكائن من هيمنة الاستحواذ التي يعد هذا الكائن بموجبها ضحية ميتافيزيقية لأي مشروع

[1] عبد العزيز بومسهولي، نهاية الأخلاق أو الانعطاف نحو المبدأ الإتيقي المحايث، دار الحرف للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2009، ص11.

[2] كارل أوتو آبل، إشكالية إتيقا كبرى وكونية للمسؤولية المشتركة، تر: محمد التركي، ضمن: مجلة أوراق فلسفية، العدد 23، مصر، 2009، ص 11.

أنطوتيولوجي يصيره مجرد وسيلة لا غير"[1]، فنجاح النقاش إنما يعود إلى تطبيق المبدأ الإتيقي الذي يحفظ لجميع المشاركين الحق في الإدلاء بآرائهم حول الفكرة موضع النقاش مجسّدين العلاقة بين الأنا والآخر، بناء على الاحترام والاعتراف المتبادل كما هو عليه في واقع الأمر، رغبة منهم في التوصل المشترك إلى امتلاك الحقيقة، "فالأهم ليس ما أدعيه أنا وأنت من حقائق، بل ما نستطيع الوصول إليه معا ونتفق عليه بشأنها. إذن الحوار والنقاش هما من شروط الوصول إلى الحقيقة المكلله بقبول واعتراف جماعي"[2]. فالتأسيس "الفلسفي والعقلاني(...) لمبدأ الأخلاق(...) ينبغي أن يستبدل باللجوء إلى أخلاقية النشاط التواصلي في العالم المعيش كما تشتغل في الواقع"[3]، فيما يرى **آبل**، وخلال مشروعه الإتيقي هذا حاول تجاوز نقاط القصور في الأخلاق الكانطية التي نادى فيها **كانط** "بعقل عملي فطري وما قبلي معوّضا هذه الأفكار المتمركزة على الذات بالأنموذج التداولي المستند إلى الحوار والحجاج والبحث المشترك عن الحقيقة"[4].

فعلى الرغم من التوجه العقلي لآبل تأثرا **بكانط** إلا أنها نتقد بعضا من جوانب الأخلاق الكانطية اقتداء بما قدمه **هيجل** بخصوصها، وأول الاعتراضات

---

[1] عبد العزيز بومسهولي، نهاية الأخلاق أو الإنعطاف نحو المبدأ الإتيقي المحايث، ص 12.

[2] محمد بكاي، أرخبيلات ما بعد الحداثة رهانات الذّات الإنسانية: من سطوة الانغلاق إلى قرار الإنعتاق، ص257.

[3] كارل أوتو آبل، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، ص ص 41،42.

[4] محمد بكاي، أرخبيلات ما بعد الحداثة رهانات الذّات الإنسانية: من سطوة الانغلاق إلى قرار الانعتاق، ص 253.

تمثلت في أن أخلاق **كانط** هي أخلاق صورانية "فالقانون الأخلاقي لا يكون كونيا، وأهلا لقيادة الكائنات العاقلة إلا إذا كان قانونا صوريا ومفرغا من كل مضمون مادي أو تجريبي"[1]، وبذلك فهو يلغي أثر التجربة المعاشة في تأسيس الأخلاق بخلاف **آبل** الذي ينطلق من وجود عالم تشتغل فيه أخلاق إجرائية تنتجها الحياة في سيرورتها، وبما أنني ذات تشارك النقاش فإنني أملك "مقاصد في المعنى صحيحة لأن اللغة لا توجد فقط في مقاصد المعنى الخاصة بي. إن الاتفاق مع الآخرين على مقاصد المعنى، هو الذي يؤكد مدى الإنجاز الدائم في المعاني في اللغة، ذلك الاتفاق هو شرط الإمكان لتوحيد المعطى التجريبي(...)"[2]، أي أن إسناد الإتيقا بطابعها الحواري إلى المجال التجريبي أو العالم المعيش أحد أهم النقاط التي أكّد عليها آبل.

أما الاعتراض الثاني فقد تمثل في الاعتراض على صرامتها في الإقناع، فهي أخلاق "لا تأخذ بعين الاعتبار النتائج والآثار الجانبية"[3]، بالتالي فهي تلغي الصالح العام، مكرسة الأنانة على عكس ما تنادي به لأن **آبل** آمن بتأثره **بكانط** "بوجود عقل عملي ولكن عقل عملي غير منفرد باقتناعاته الذاتية وغير متقوقع

---

[1] جميلة حنيفي، يورغن هابرماس من الحداثة إلى المعقولية التواصلية، ص 203.

[2] كارل أوتو آبل، النزعة العلمية والهيرمينوطيقا ونقد الإيديولوجيا: حدود نظرية العلم من وجهة النظر الإبستيمولوجية الأنثروبولوجية، تر: محمد سيد عيد، ضمن: مجلة أوراق فلسفية، العدد 23، 2009، مصر، ص47.

[3] جميلة حنيفي، يورغن هابرماس من الحداثة إلى المعقولية التواصلية، ص203.

إلى حد الأنانة (solipsisme)"[1]، لهذا توجه **آبل** من خلال إتيقا النقاش نحو صياغة مبدأ الكونية بالتركيز" على النتائج لصالح كل المشاركين المعنيين انطلاقا من ملاحظة كونية للمعيار"[2]، ومعنى هذا أن المشروع الآبلي المعنون بإتيقا المناقشة هو سعي حثيث في جعل هذه الإتيقا " تتخذ بعدا شموليا وكونيا، لأنها تستند على مبدأ الاعتراف المتبادل الذي تفرضه كل مناقشة عمومية، وبالتالي فهي تفتح إمكانيات متعددة أمام فرص الوصول إلى الحقيقة الإجمالية في إطار التفاهم الحواري المسؤول"[3]، من أي ضغط كان حتى نسير نحو تفاهم جيد لتواصل أفضل.

ومن بين القيم التي أشار إليها **آبل** في مشروعه "إتيقا المناقشة" لتجاوز المأزق الحداثوي، والتي كانت كدعامة له نجد التضامن، والمسؤولية المشتركة التي لايكفيها "بأن تجعل كل فرد يفكر بمعزل عن الآخرين في النتائج المرتقبة للأفعال"[4]، ما يبين استحالة بناء النشاط التواصلي بشكل أحادي، فقد عاد **آبل** إلى كتابات **هانس جوناس** المتعلقة بالمسؤولية، وافترض "أن الكائنات البشرية تعرف كيف تفرق بين النتائج المرغوبة والنتائج غير المرغوبة لأفعالها، وأن أي

---

[1] محمد بكاي، أرخبيلات ما بعد الحداثة رهانات الذّات الإنسانية: من سطوة الانغلاق إلى قرار الانعتاق، ص 260.

[2] جميلة حنيفي، يورغن هابرماس من الحداثة إلى المعقولية التواصلية، ص203.

[3] عبد العزيز بومسهولي، نهاية الأخلاق أو الانعطاف نحو المبدأ الإتيقي المحايث، ص 109.

[4] محمد بكاي، أرخبيلات ما بعد الحداثة رهانات الذّات الإنسانية: من سطوة الانغلاق إلى قرار الانعتاق، ص262.

خلاف حول تقييم النتائج لا ينبغي أن يؤدي إلى أية مشكلة (....)"[1]، منطلقا من تحليل الواقع المجتمعي وتداعيات "التقنية ورهان التكنولوجيا والظروف الاجتماعية المعقدة في حياة الإنسان المعاصر الخاصة، وضرورة احتساب المسؤوليات المرتبطة بنتائج اختياراتنا وأفعالنا المختلفة[2].

ومن هنا نلاحظ أن **آبل** قد سلّط الضوء على التدفق التقني المتسارع والذي لم يدخل الآثار الجانبية للعلم في الحسبان، العلم الذي باتت انعكاساته وخيمة للغاية "فالقصف الذري على هيروشيما ونكازاكي كان أول سيناريو وصف على أنه حرب نووية إستراتيجية"[3]، فمن الضروري إذن أن نحاول قبل تعميم فكرة ما أو قانون ما أن نبيّن أهم الآثار المترتبة عنه من جهة، ونسعى لمعالجة ما هو غير مرغوب في حالة حدوثه من جهة أخرى، لأن العلم يحظى بفاعلية هي "اكتشاف القوانين وإنتاج المعلومات، وتتمثل فاعلية التقنية في إنتاج الطاقة والوسائل، أما الاقتصاد فاعليته فتتمثل في إنتاج السلع"[4]، وهذه هي أزمة الإنسان ما بعد الحداثوي الذي غدا حبيسا للاستهلاك الذي ظهر كنتيجة لمركب العلم، التكنولوجيا والرأسمالية.

---

[1] كارل أوتو آبل، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، مصدر سابق، ص ص49.50.

[2] محمد بكاي، أرخبيلات ما بعد الحداثة رهانات الذّات الإنسانية: من سطوة الانغلاق إلى قرار الانعتاق، 253.

[3] Karl otto appel, l'éthique de la discussion, traduction : Mark hunyadi, les éditions du cerf, paris, 1994, p17.

[4] جمال مفرج، الأزمة البيئية بين الأديان وأخلاق المستقبل، ضمن: مجلة التشريع الإسلامي والأخلاق، العدد26، ربيع 2014، الدوحة، ص30.

لقد أصبح من المهم أن نبني حيّزا أخلاقيا يتضمن "الإحساس بالمسؤولية تجاه الآخرين، أو الأقران الذين يحتاجون إلى المساعدة، فهي مسؤولية لا يمكن التملص منها طالما هناك آخر بكل بساطة"[1]، بدلا من الإنكباب والتقوقع على الذات، وتهميش ما تبقى في العالم من أفراد، فالمسؤولية لا تنبع من قوة هذا الآخر إنما من ضعفه وحاجته ليد المساعدة، وخاصة بعدما أصبح العالم بما فيه مهددا من

قبل العلم ومعرضا للدمار في أية لحظة، لذا يحاول **آبل** أن يمنح نصيبا من الحياة لأجيال تستحق أن تحيى في عالم يسوده السلام والتواصل، عالم خال من المخاطر والكوارث منطلقا من فكرة جوهرية في فكر **جوناس** هي "تصرف بشكل يجعل نتائج فعلك غير تدميرية بالنسبة لإمكانية الحياة مستقبلا ولا تعرض للخطر شروط بقاء الإنسانية على الأرض"[2]، حتى يضمن مستقبل وغد أفضل للجميع.

وختاما يمكن القول أن المشروع الإتيقي الآبلي الموسوم بإتيقا النقاش يعد كمحاولة لتجاوز مكمن القصور والإنزلاقات الفكرية التي وقع فيها إنسان الحداثة الذي حاول هو الآخر الخروج من غمار أزمة عاش خلالها في ظلمات العصور الوسطى محروما من الحرية الفكرية، وقد أخضع فيه **آبل** جل المعاملات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية إلى الحجاج والنقاش والتحاور بهدف بلوغ

---

[1] المرجع نفسه، ص40.

[2] المرجع نفسه، ص40.

إجماع كلي حول فكرة ما، وقد سعت "إتيقا النقاش المؤسسة بطريقة تداولية ترنسندنتالية إلى أن تكون أخلاق مسؤولية (بمعنى هانس جوناس..) وهذا رغم أنها تواصل تميُّزها لوصفها أخلاق واجباتية déontologique مستندة إلى التحول الكانطي عن كل أخلاق نفعية وغائية أو أكسيولوجية"[1]، هدفها ذو طابع كوني عالمي، يهدف إلى جعل اللغة كونية لأنها الأداة الأوحد والأمثل للتواصل وللحوار العالمي.

[1] جميلة حنيفي، يورغن هابرماس من الحداثة إلى المعقولية التواصلية، ص237.

المراجع والمصادر:

– جمال مفرج، الأزمة البيئية بين الأديان وأخلاق المستقبل، ضمن: مجلة التشريع الإسلامي والأخلاق، العدد26، ربيع 2014، الدوحة.

– كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى آكسل هونيث، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، دار الأمان، الرباط.

– الناصر عبد اللاوي، التواصل والحوار أخلاقيات النقاش في الفكر الفلسفي المعاصر، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2013.

– جان مارك فيري، فلسفة التواصل، تر: عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، بيروت، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2006.

– جميلة حنيفي، يورغن هابرماس من الحداثة إلى العقلانية التواصلية، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر، ط1، 2016.

– عبد العزيز بومسهولي، نهاية الأخلاق أو الانعطاف نحو المبدأ الإتيقي المحايث، دار الحرف للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2009.

– علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس أنموذجا، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط.

– كارل أوتو آبل، إشكالية إتيقا كبرى وكونية للمسؤولية المشتركة، تر: محمد التركي، ضمن: مجلة أوراق فلسفية، العدد 23، مصر، 2009.

- كارل أوتو آبل، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، تر: عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز العربي الثقافي، المغرب، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2005.

- كارل أوتو آبل، النزعة العلمية والهيرمينوطيقا ونقد الإيديولوجيا: حدود نظرية العلم من وجهة النظر الإبستيمولوجية الأنثروبولوجية، تر: محمد سيد عيد، ضمن: مجلة أوراق فلسفية، العدد 23، 2009، مصر.

- محمد الشيخ، ياسر الطائري، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1996.

- محمد بكاي، أرخبيلات ما بعد الحداثة رهانات الذّات الإنسانية: من سطوة الانغلاق إلى قرار الإنعتاق، دار الرافدين، بيروت، opuspublishers ، كندا، ط1، 2017.

- Karl Otto appel, transformation de la philosophie 01, traduction: Christian bouchindhomme, Thierry simonelli, Denis trierweiler, edcref, paris,2007.

- Karl Otto appel, l'éthique de la discussion, traduction : Mark Hunyadi, les éditions du cerf, paris,